Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

فن إنشاء رسالة رسميّة من منظور الأدب القرآنيّ: خطاب نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس نموذجا

The Art of Composing a Formal Letter from the Perspective of Qur'anic Literature: The Case of King Solomon's Letter to Queen Sheba

Mohammed Salisu
PhD Candidate, Center for Gulf Studies, College of Arts and Sciences, Qatar University, P. O. Box 2713, Doha, Qatar.
sm1704933@student.qu.edu.qa

الملخص

الهدف من هذا المقال هو المقاربة والمقارنة بين رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس وعملية إنشاء الرسائل الرسميّة المعاصرة. وقد شكلت الرسالة باكورة العلاقة التي نشأت فيما بعد بينه وبين ملكة سبأ، بلقيس. ومن خلال نظرة أكثر وضوحا لتمييز الرسالة عن الأدب القرآني يُظهر المقال رؤى سليمان عليه السلام وحدسه في إنشاء الرسائل، بقدر ما يكشف التفوّق الأدبي للقرآن ودليل على استمرارية إنشاء الرسائل الرسميّة وسيلة للمراسلات منذ العصور القديمة حتى اليوم. كما ويظهر المقال تشابهًا وثيقا بين رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس والأسلوب المعاصر في كتابة الرسائل الرسمية. من الناحية المنهجية يسير المقال على نهجً تحليليً مقارن من خلال الاستناد إلى نتائج النصوص الحديثة المتعلقة بتأليف الخطابات لإثبات مادة الموضوع.

كلمات مفتاحية: سليمان، بلقيس، القرآن الكريم، الأدب، الرسالة الرسميّة، طائر الهدهد.

Abstract

This article aims at juxtaposing King Solomon's letter to Queen Sheba with contemporary way of composing formal letters. King Solomon's letter was a harbinger of the relation that was later to exist between him and the Queen of Sheba, Bilqis. By the clearer ray of discerning from the Qur'anic literature, the article demonstrate King Solomon's insights and intuitions in composing letters, just as it reveals the Qur'anic literary superiority and a proof of continuity in composing formal letters as a means of correspondence from antiquity to date. The article reveals an existence of a narrow track running a white parallel between King Solomon's letter to Queen Sheba and contemporary way of writing formal letters. Methodologically, the article employs a comparative analytical approach by drawing on the findings of texts revolving around composition of letters to prove its stated thesis.

Keywords: King Solomon, Queen Sheba, The Holy Qur'an, Literature, Formal Letter, Poopoe.

Article History:
Received: 16/3/2021 Accepted: 20/5/2021 Published: 10/11/2021

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

المقدمة

يعج القرآن الكريم بالقصص التي تحتوي على الكثير من الحكم والعبر التي ينبغي للبشرية التفكير فيها والتعلم منها. ومن أكثر هذه القصص إثارة هو لقاء سليمان وبلقيس. فبينما تكشف بعض القصص القرآنية عن نوع من التفاعل بين أنبياء الله والنساء، فإن التألق المذهل الذي اتصفت به قصة سليمان عليه السلام وبلقيس جعلها فريدة من نوعها. والعامل الرئيسي في تفرّد القصة هو البعد الجنساني (النوع الاجتماعي) حيث يقوم ملك ونبي من أنبياء الله وهو سليمان عليه السلام بمراسلة ملكة شابة ذكية تمتلك عرشًا قويًا. هناك العديد من الكتب والأبحاث التي تناولت مقابلة سليمان عليه السلام مع بلقيس. ومع ذلك فبينما تُقدّم هذه الدراسات توصيفات غنية لمختلف جوانب لقاء سليمان عليه السلام وبلقيس، فإنها تميل إلى اتخاذ منظور سياسي (Haeri, 2020; Elias, 2009) أو منظور تاريخي (July, 1998) أو منظور جغرافي (Adamu, 2009; Nägäst, 2009) أو منظور من النوع الاجتماعي (Jacob, 1993; Busby, 1992) أو منظور وعي نبوي (Tamrat, 1972). ولم تتناول أي من هذه الأعمال الشكل الأدبي للرسالة التي بعثها سليمان عليه السلام إلى بلقيس. في هذا المقال أقوم بتناول هذا الجانب باستخدام رسالة سليمان عليه السلام نموذجا وذلك بتحليل طبيعتها وخصائصها كما هو مُوضّح في القرآن الكريم على أنها موازية للطريقة المعاصرة في صياغة الرسائل الرسمية. وعلى وجه الخصوص يحدّد المقال السمات الرئيسية للرسالة الرسمية مثل المرسل، والمرسل إليه، والعنوان، والمحتوى، وتوضّح هذه الميزات من خلال تحليل الأنماط الأساسية للرسالة الرسمية المعاصرة. وبالامتداد المنطقي سأختتم المقال بالطرق المناسبة التي يتسم بها الرد على الرسائل الرسمية.

يرسخ المقال نهجًا تحليليًا مقارنًا بين خطاب سليمان عليه السلام والنصوص المعاصرة. أي يتبين في المنهج الذي أسيرعليه تدعيم المقال بما رواه القرآن الكريم من خطاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس والاستناد إلى نتائج النصوص الحديثة التي تدور حول تأليف الخطابات لإثبات مادة الموضوع.

الأدب القرآني

بما أن اللغة العربية هي لسان القرآن الكريم وجزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية، فإن سردًا موجزاً للأدب العربي سيساعد في ترسيخ موضوع المقال. الأدب هو الكلام الجيد الذي يتكوّن من ألفاظ ومعان تتسم أحيانا بالجزالة أو بالسهولة أحيانا أخرى. يعدّ الأدب المظهر الفني الإبداعي للغة وأرقى وأجمل أثر من آثارها. الأدب مجموعة من الآثار الفنية الجميلة التي تنقل إلينا عمارة التجربة الإنسانية التي عاشها لفيف من الخالدين عبر العصور. واللغة العربية غنية بتلك الآثار التي عالجت – في مختلف العصور – أحاسيس الإنسان من لذّة وألم وصوّرت مشاعره وآماله وأمانيه، وسجّلت علاقته بالكون والمجتمع وأحاسيسه بالطبيعة وما حباها الله من مظاهر الجمال والإبداع والقوّة والرهبة (لواساني، ١٩٨٨). ولما كان الأدب العربي عميق الجذور ممتد الفروع، وأرف الظلال شديد التأثير

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

والتأثّر، جاء عظيما وغنيا بفنونه الأدبية وآثاره الفنية، وكان تاريخه شاملا لكل عوامل البيئة والطبيعة وكل مظاهر الحياة المختلفة منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر. ينقسم الأدب في الغالب إلى قسمين أساسيين هما الشعر والنثر. الشعر هو كلام منظوم يعتمد في ألفاظه على وزن وقافية وفي معانيه على الخيال والتصوير، وهو يخاطب الوجدان غالبا (السمرة وآخرون، ١٩٨٥). أما النثر فهو كلام مطلق حُرّ لا يعتمد في ألفاظه على وزن ولا قافية كما لا يعتمد في معانيه على الخيال وحده، وإنما يعتمد أيضا على التفكير والمنطق السليم (المرجع نفسه).

القرآن الكريم نص مقدّس أنزله الله على البشرية جمعاء من خلال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. أما تعريف القرآن الكريم الذي اتفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية أنه "الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبّد بتلاوته"[١] وبالرغم من تعرّض القرآن الكريم للطعن والتشكيك والإدانة والنبذ بشدّة من قبل العديد من المستشرقين، إلا أن الكثير منهم قد أشادوا بأسلوبه اللغوي وفنه الأدبي الفريد. ففي كثير من الأحيان يحتدم الجدل حول حقيقة الوحي الإلهي للقرآن والاختلاف حول التفسير (Rippin, 2001; Goldfield, 1998)، حتى بين علماء المسلمين أنفسهم الذين اختلفوا أحيانا حول جوانب مختلفة من القرآن. تاريخيا، أدت تلك الخلافات والشكوك إلى مزيد من البحث في علوم القرآن والتوسّع فيه. وفي الكشف عن مناهج علماء المسلمين الكلاسيكيين والقدامى والمعاصرين في استيعاب الفروق الدقيقة من القرآن الكريم، فقد بيّنت تلك المناهج ملامح جوانب شاسعة من الخطاب القرآني اللغوي والأدبي. وقد أجمع الباحثون والعلماء على أن امتلاك معرفة ودقة اللغة العربية وفروعها المختلفة شرط لا غنى عنه لفهم الكتاب السماوي (Jalāl al-Dīn, 2011). لذلك تميل دراسات اللغة القرآنية إلى التركيز بشكل غير متناسب على النحو والصرف والبلاغة (Badawi, 2014). على الرغم من وجود نسبة معيّنة من الأعمال الأكاديمية التي تحلّل الجانب الأدبي للقرآن الكريم، إلا أن قسما كبيرًا من تلك الدراسات يركّز على مقارنتها مع الشعر العربي القديم. وقد قدّم العلماء عددًا من العوامل التي أدت إلى انتشار الشعر على النثر في الأدب العربي ككل. وبناءً على تطلّعاتهم وتوقّعاتهم واحتياجاتهم يقدّم بدوي (Badawi, 2014) عوامل تقف وراء تأخّر تطوّر النثر العربي. فالشعر أسبق من النثر في الظهور لأن الشعر يعتمد على الخيال الحر والنثر يعتمد على المنطق والتفكّر. والخيال يسبق التفكير في حياة الأفراد والجماعات وكذلك ساعد على أسبقية الشعر للنثر أن الشعر يتصل بالغناء ولما فيه من أوزان توافق الأنغام (المرجع نفسه). لذا بدأت الآداب القديمة كلها بالشعر ولم يظهر فيها النثر الفني إلاّ بعد أن نالت حظا من الحضارة والرقي العقلي (المرجع نفسه).

وبما أن النقاش حول الأدب القرآني غالبًا ما يتم بمقارنته مع شعر العصر الجاهلي (خصوصا، المعلّقات) إلا أن القرآن الكريم ليس فنًا شعريًا على الإطلاق (Hussein, 2000; Abdel Haleem, 1992). وتأكيدا لهذا

[١] الصالح، صبحي. ١٩٧٧. مباحث في علوم القرآن. بيروت: دار العلم للملايين، ص. ٢١

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الرأي ذكر الباقلاني "إن القرآن الكريم نوع خاص بنفسه"[١] وكرّر طه حسين (٢٠٠٧) على الجانب الجمالي للقرآن وتفوّقه الأدبي وأصرّ بأنه ليس شعرا ولا نثرا. كما أشار "أن القرآن كان مبتكرا في أسلوبه وجمالياته (أي جديدا في أسلوبه). وهذه السمة في القرآن هي بالتحديد ما سماه أدونيس "أفقًا آخر للكتابة"[٢]

يُعتقد أن النثر القرآني كنوع أدبي هو الأقل فهمًا ودراسة للعلوم القرآنية. لقد بدأ النثر يزدهر في صدر الإسلام وارتقت مكانته بأن القرآن الكريم والحديث الشريف كان أسلوبهما النثر (بدوي، ٢٠١٤). ينتمي أدب الرسائل إلى النثر الفني بشكل عام فازدهار ذلك الأدب مرتبط في كثير من جوانبه بازدهار هذا النثر، "فإذا ما تتبعنا حركة النثر وجدنا أنه كان في العصر الجاهلي بسيطا غلب عليه لون واحد هو الخطابة التي احتاج إليها الخطباء الناطقون باسم القبائل في مناسبات شتى منها الحرب، والأفراح، والصلح بين المتخاصمين".[٣] جاء في كتاب تاريخ الدعوة لمحمد الجيوشي وأنه "كان الصحابة بالرسائل والنثر غاية الاعتناء وكانوا يبعثون الرسائل التحريرية لمواعظة الملوك أو الإصلاح بين القبائل"[٤]. تتبوّأ الرسائل أريكة البيان في النثر وتحلّق إلى مناط العيوق وآفاق الثريا فقد كانت الرسائل في جميع العهود تتغيا الأناقة والجمال والتبريز على غيرها من ألوان الكتابة.[٥] اتسعت فنون النثر في العصر الحديث حتى ظهرت بينها أنواع جديدة منها الرسالة. ومن المتفق عليه إن الرسالة قالب نثري يعرض فيه الموضوع ما عرضا مسلسلا مترابطا، يبرز فكرة الكاتب وينقلها إلى المتلقي نقلا ممتعا مقنعا مؤثرا. تألق نجوم الرسائل وأضاءت آفاقها وعظُم شأنها وارتفع قدرها واتسع نطاقها إلى أن التجأ إليها الأفراد والأسرة والمؤسسات والحكومات للمراسلات المنتظمة.

الرسالة: نوع أدبي

الرسالة عبارة عن شيء يتم نقلها من شخص (أو أشخاص) إلى آخر (أو آخرين). فإلى جانب كونها وسيلة اتصال فقد أدّى تأليف الرسائل التحريرية دورًا في إعادة إنتاج الكتابة كفن عبْر التاريخ (Blake and Bly, 1993). فبينما ينظر بعض إلى إنشاء الرسائل على أنها وسيلة لممارسة النقد الأدبي (Camiciotti, 2014)، يرى الآخرون أنه وسيلة لممارسة مهارات الكتابة. (Jolly and Stanley, 2005). في أوقات معيّنة كان يُعتقد أن

[١] . Quoted in, Nasr Abu Zayd. 2003. 'The Dilemma of the Literary Approach to the Qur'an. ALIF: Journal of Comparative Poetics, Vol. 23, No. 8, p. 12.

[٢] أدونيس، سعيد. ١٩٩٣. النص القرآني والآفاق الكتاب. بيروت: دار الآداب، ص. ٣٥

[٣] السمرة، محمد وآخرون. ١٩٨٥. الأدب العربي: من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي. المسقط: وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، ط ا، ص. ٣٢٥.

[٤] الجيوشي، محمد إبراهيم. ١٩٩٩. تاريخ الدعوة. القاهرة: دار العلم والثقافة، ط ا، ص. ٣٤

[٥] كامل، محمد جمعة. ١٩٦٣. الأسلوب. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ط ث، ص. ٤١

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

تأليف الرسائل شكل من أشكال الفن ونوع من الأدب كما هو الأمر في فن الكتابة البيزنطيّة.[١] تنوّعت أنواع الرسالة بتنوّع اتجاهاته والموضوعات التي تعالجها. ويرى البعض إدراج هذه الأنواع الكثيرة تحت ضربين فحسب هي: الرسالة غير الرسمية والرسالة الرسمية (Jolly and Stanley, 2005). الرسالة غير الرسمية فهي نوع شخصي ولا يحتاج إلى اتباع أي نمط أو الالتزام بأي إجراءات رسمية صارمة، حيث تحتوي تلك الرسائل على معلومات شخصية أو محادثة مكتوبة وتُكتب عادة للأصدقاء والمعارف والأقارب وما إلى ذلك، وهي الأكثرية الكاثرة من الضربين.

أما الرسائل الرسمية فتحتاج إلى اتباع أنماط معيّنة وإجراءات رسمية صارمة. فهي ذات طابع احترافي صارم وتعالج القضايا المعيّنة مباشرة، ويندرج خطاب عمل أو الخطاب المرسَل إلى السلطات ضمن هذه الفئة. وفي وصفه لمراسلات رؤساء الدول في السياسة العالمية المعاصرة يبيّن روبرتس (Roberts) إن الرسائل الرسمية "تُستخدم عادةً لتعيين السفراء واستدعائهم أو للإعلان عن وفاة السادة أو لتولّي العرش أو للتعبير عن التهنئة أو العزاء".[٢]

تبدأ الرسائل الرسمية ببنية معينة وتحية رسمية بطبيعتها، وتختتم بتوقيع يأتي متبوعًا بالاسم الكامل للكاتب. كما ينبغي توجيه خطاب رسمي إلى مستلم معيّن مع ذكر تفاصيل المرسل بوضوح، والتأكد من أن الجملة الافتتاحية حاسمة ومرتكزة على صميم الرسالة (Strunk and White, 1999). ولكي يكون لكاتب الرسالة الرسمية التأثير القوي في نفس القارئ ينبغي أن يجعل كلماته وعباراته والخواطر التي تعرض له مواجهة لإبراز الفكرة الأساسية وتوضيحها، والبعد عن كل ما يعوق ذلك الإبراز وهذا التوضيح (Roberts, 2009). من خصائص الرسالة الرسمية الطرافة في فكرتها وفي تناولها، وأنها تعبّر عما يجول في نفس الكاتب وما يشعر به تجاه المرسل إليه. وبما أن الانطباع الأول هو ما يرسخ دائما في العقول فمن الأحرى أن تكون الجملة الافتتاحية الصحيحة، فمن الواضح أنها الخطوة الأولى وأهمية قصوى في عملية التأليف. يجب أن تشير الرسالة الرسمية بشكل لا لبس فيه إلى المرسل إليه ابتداء بعنوان قصير يعطي لمحة عن محتوى الرسالة، ثم المحتوى الحقيقي للرسالة والتوقيع الختامي (Jolly and Stanley, 2005). فيجب أن تكون اللغة رسمية بشكل صارم ومدقّقة وخالية من الغموض من حيث اختيار الكلمات ونبرة الخطاب بتجنّب اللغة العامية والتعبيرات التي تتطلب تفسيرات، في حين يجب ضمان آداب السلوك والاحترام للمتلقي.

لقد اهتم مؤرّخو الأدب العربي بالرسائل الرسمية بشكل خاص لأنها أقرب الأنواع إلى رسائل أنبياء الله. وكانت الرسائل وهي من فنون النثر إحدى شعائر التوحيد، إذ كان الرسل يدعون الملوك إلى دين الله بالرسائل. وهكذا نرى إن تأليف الرسائل التحريرية عند الرسل كانت من أهم سمات وأهداف النبوّة. كانت السمة العامّة لأسلوب هذه الرسائل هي التوسّط بين الإيجاز والإطناب. فالإطناب في أخبار الفتوح والحث على الجهاد،

[١] . “Epistolography” in, The Oxford Dictionary of Byzantium. Oxford: Oxford University Press, p.718.

[٢] . Roberts, Ivor. 2009. Satow’s Diplomatic Practice. Oxford: Oxford University Press, p. 47.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

والإيجاز يكون في أنباء الهزائم وفي الوعد والوعيد ووصف الأعداء وقوّة شكمتهم وشدّة بأسهم.[١] وقد بعث سليمان عليه السلام العديد من الرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى دين التوحيد ويحمّلهم مسؤولية الدعوة لرعاياهم.

لقاء سليمان وبلقيس

كان سليمان قائدا عظيما فاتحا رحيما ونادرًا ما استراح من غزو الذين تجاهلوا دعوته. وبما أوجب المولى عز وجل إلى جميع رسله الدعوة إلى عبادته وحده وعدم الإشراك به، شرع سليمان عليه السلام على الفور في الإعداد لمواجهة ملكة سبأ عندما وصله خبرها. ولم يكن بحاجة لبدء هذه المهمة بجنوده من البشر والثدييّات والطيور والريح، بل أرسل طائر الهدهد الذي نقل إليه الخبر ليعود إلى مملكتها بالرسالة. وَرَدَتْ قصّة لقاء سليمان وبلقيس في سورة النمل وهي من مجموعة السور المكيّة التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من بعثته النبوية (Rahnema, 1974). تتكّون السورة من ٩٤ آية حيث تتضمن الآيات من ٢٠ إلى ٤٤ قصة لقاء سليمان وبلقيس. فبينما هي الملكة الوحيدة المذكورة في القرآن فهي ليست المرأة الوحيدة ذات التوجّه السياسي التي ذُكرت في النص القرآني. فقصة سليمان وبلقيس كما ورد في القرآن قصيرة ومختصرة وغير قاطعة فيما يتعلق بمصيرهما النهائي. في شرح الجوانب الفنية للروايات في القرآن يرى أُسمان (Osman, 2014)

إن بعض القصص في القرآن هي ملخّصات مختصرة لقصص رُويت من قبل كما تبدأ القصص الأخرى بنهايتها ثم تتابع الآيات سرد بقيّة القصة وفقًا لذلك. هناك أيضًا قصص بدون بدايات أو ملخّصات وهناك قصص تتحوّل إلى أفعال، بمعنى أنها تُروى من خلال أفعال الشخصيات المعنية.[٢]

يُعد سليمان واحدا من أنبياء الله ورسله الذي أسبغ الله عليه بالعديد من النعم والقدرات بما في ذلك القدرة على التحدّث إلى الحيوانات والجان. في الحقيقة حظي سليمان بمستوى عالٍ من الملك لم يُمنح لأحد من قبله أو بعده. حدث هذا إذ ورث سليمان أباه داود ودعا الله أن يمنحه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده. فاستجاب الله (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ) [ص، ٣٥] كما أصبح الجان تحت سيطرته المطلقة علاوة على أنه كان موهوبًا بفهم لغات الحيوانات بما في ذلك النملة. وفي يوم من الأيام دخل سليمان وجيشه وادي النمل ولدى رؤيتهم حذرت نملة النمل وطلبت منها الدخول على عجل إلى مساكنها لئلا يسحقهم جنود سليمان عن غير قصد. فهم سليمان الحوار الذي دار بين النمل على الفور وشكر الله على النعم وتجنّب الدوس على النمل (Azzam, 1990). وكان من أهم الجوانب المهمة لعرش سليمان كمّية ونوعية جيشه المكوّن من البشر والجان والحيوانات، وقد دأب على تقييم جيشه من البشر والحيوانات والجان. خلال إحدى عمليات التفتيش يوما أدرك سليمان أن طائر الهدهد كان غائبًا وبعد فترة وجيزة عاد إلى بلاط سليمان قائلاً (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

[١] جمعة، محمد كامل. ١٩٦٣. الأسلوب. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ط ث، ص. ٤١

[٢] Osman, Rahmah A. 2014. The Literary Facets of the Qur'an as a Guideline for Islamic Literary Writing. Kuala Lumpur: Al – Shajarah Journal of Islamic Thought and Civilization, Vol. 19, No. 2, p. 217.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) [النمل، ٢٢]. وأخبر الهدهد سليمان أن أهل سبأ يعبدون الشمس والمرأة التي تحكمهم كانت ذكية وقوية للغاية. مستمعًا باهتمام شديد أمر سليمان الهدهد بتسليم رسالته إليها والتّخفّي لمراقبة ما يكون من أمرها وما عساها تفعل. اتبع الهدهد الأمر المذكور وعاد إلى سبأ لأداء المهمة المطلوبة. تحدّث الزمخشري عن الموضوع قائلا:

"أنه بعد انتهاء سليمان من تأليف الرسالة أخذها الهدهد برجله فانطلق بها إلى قصر بلقيس في اليمن. وكانت لها كوّة في غرفتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها فسجدت لها. فأتى الهدهد الكوّة فسدّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم، ثم ألقى الكتاب من الكوّة فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته (بلقيس)".[١]

خطاب سليمان إلى بلقيس

لقد أدّت كتابة الرسائل دورًا حيويًا في حيوات الرسل وكانت في طليعة إداراتهم وحاملة رسالة الله الواحد للملوك ورعاياهم (Guille', 1994; Mohanty, 2015). عندما شرع سليمان مهامه النبوي اتخذ إرسال الخطابات إلى ملوك وقادة الجماعات الدينية الأخرى في القدس جانب مهم. أحاجج أن تصميم سليمان على أن تكون ملكة بلقيس هي أول من يطّلع على محتوى الخطاب قد أثر في اختياره للرسالة التحريرية ولا الشفهية. إن طبيعة مملكة بلقيس وعيارها يدلّ على استحالة استخدام الرسائل الشفوية إذْ أن ناقل الرسالة سيتعرّض لمراحل عدّة من عمليات التفتيش الأمني والاستجوابات العامة.[٢] في هذه الحالة ثمة احتمال أن يتم الكشف عن كل ما يتعلق بالرسالة. بالرغم من قدرة الجان على تغلب على هذه التحديات إلا أنهم كانوا من الممكن أن يصادفوها في وضع غير لائق في غرفتها الخاصّة. ولتجنّب حدوث هذا الموقف غير الأخلاقي لم يأمر سليمان الجن بإحضار عرشها إلا بعد مغادرتها المنزل وكانت في طريقها بالفعل إلى القدس. فإن عزم سليمان على أن تكون الملكة أول من تطّلع على محتوى الرسالة يرجّح طبيعة رسميتها لأن ذلك يمنحها الفرصة لتقرر بشكل فردي ما إذا كانت ستحتاج إلى المشورة أم لا. وبالتالي وكما وردت في القرآن، بعد اجترار محتوى الخطاب عرضتْه على أعيانها قائلة: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) [النمل، ٢٩]. تقدم هذه الآيات القرآنية المختصرة والدقيقة السمات الأربعة الرئيسية للرسائل الرسمية التي لا تزال قائمة إلى يومنا الحاضر.

سمات الرسائل الرسمية في خطاب سليمان

[١] . الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر الخوارزمي.١٩٧٢. تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة: مطبعة البابي القنبي وأولاده، ، ج ث، ص. ٨٩ – ٩١..

[٢] راجع صلاح الخالدي. ١٩٩٨. القصص القرآنية: عرض ووقائع وتحليل أحداث. دمشق: دار القلم، ط ١

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

يساعد الالتزام بالمعايير القياسية لتأليف الخطابات الرسمية الجيدة وتقديم محتواه بشكل جذاب في ضمان أن ينظر المرسل إليها وإلى أفكار المرسل بجديّة ويمنحه الاهتمام الذي يستحقه (Strunk and White, 1999). كما يتعيّن على مؤلف الخطاب الرسمي ذكر الغرض من الرسالة في الفقرة الأولى ثم التركيز على الموضوع بتجنّب الإطالة والبعد عن إيراد الاستقراءات الدقيقة لجزيئات الموضوع وينبغي أن يشعر المرسل إليه أنه تجاه موضوع مهم، من قبل مؤلف لبق يكتب بحسن عرضه (Jolly & Stanley, 2005). كما يجب أن تكون معالجة الموضوع في الرسالة في جوّ من الطلاوة، وعبارة بليغة، والتنزّه عن الابتذال، وعرض ما يجمع بين دقّة الملاحظة (JCSP, 2006). بعبارات أخرى يشترط في المؤلف أن يكون فتيق اللسان، حاضر البديهة قوي الحجة، ذا أدب جم وصدر رحب، وأن يدرس الموضوع الذي يعرض له ويعرف نفسية المتلقّي ليتاح له أن يستشير شعوره، وأن يبعد عن المسائل الشخصية التي تمس الأفراد ويوجه همه إلى النواحي العامة.

أحاجج أن سليمان عليه السلام قد التزم بالمعايير للتأليف الرسائل الرسمية المعاصرة. من النماذج الآنفة التي عرضناها أستطيع أن أهتدي إلى الخصائص أو السمات الفنية لخطاب سليمان عليه السلام، وتناول هذه السمات الموضوعات والألفاظ والأساليب والمعاني. إذ استطاع سليمان عليه السلام تقديم محتوى الرسالة بشكل جذّاب وملف للنظر، من أجل ضمان أن تنظر بلقيس (المرسل إليها) إلى أفكاره بجدّية ومنحه الاهتمام الذي استحقه. إن وصف بلقيس الواضح لطبيعة الرسالة يُعتبر أمرًا محوريًا في ترسانة دعم فكرة ما أحاججه في هذا المقال. وحيث أن متلقي الخطابات غالبا ما يقومون بمقارنة معاييرها فمن المهم تحليل وصف بلقيس لخطاب سليمان خاصّة إذ أنها لم تكن تعلم عنه شيئا مطلقًا. أستخدم كلمة "وصف" هنا للإشارة إلى الصفة التي استخدمتْها بلقيس نفسها للرسالة كما أنزل على النبي محمد في سورة النمل من القرآن.

- وهكذا، كانت الملكة على يقين تام من أن الخطاب قد أُرسل إليها. وبالتالي لم يكن هناك لبس في كلامها إذ أوضحت لأعيانها قائلة (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ) [النمل، ٢٩]. يتصل ضمير المتكلم (في هذه الحالة "ي") بالحرف "إنْ" في بداية الجملة الاسمية لغرض التأكيد على نقطة مهمّة. وبالتالي فإن استخدام "ياء المتكلم" بالحرف "إلى" ليس عرضيًا بل محاولة واعية للتأكيد على ملكيتها للرسالة. قد يكون تاكيدها الواعي على كونها المرسل إليه للخطاب لاحتمال تلقيها خطابات نيابة عن رعاياها.
- على غرار تعاملها مع المرسل إليه كانت تفاصيلها عن هوية المرسل واضحة وقاطعة (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ) [النملة، ٢٠].
- كما أن الخطاب مُعنْون ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [النمل، ٢٠]
- والمحتوى يتطلب منا جميعًا (أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) [النمل، ٢٠].

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

بالإضافة إلى ما سبق فإن إمضاء الرسالة بتوقيعه وختمه دلالة أخرى تؤكد الصفة الرسمية لها. وتأكيدًا على ذلك ذكر الطبري بأن خطاب سليمان إلى بلقيس "مختومة... إذ إنهم كانوا لا يقبلون كتابا إلاّ وعليه خاتم".[١] وأوضح كذلك "إن كرم الكتاب ختمه، ومن كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به"،[٢] أي إن المرسل لم يجعل الرسالة رسميًا بدرجة يستحقه المرسل إليه. تبرز صفة "كرْم" على الفور الطبيعة الرسمية لخطاب سليمان ومدى قبول الملكة.

ردة فعل الملكة بلقيس على خطاب سليمان عليه السلام

إن الالتزام بالمكارم الأخلاقية في الخطاب يستوجب ردودا إيجابية من المرسل إليه، كما إن الانخراط في سلوك غير ملائم والتصرفات غير الصحيحة قد تُزعج المرسل إليه ومن ثم قد يتسبب هذا في تجاهل محتوى الرسالة ككل. وبالرغم من إصدار أمر صارم للملكة ورعاياها للاستسلام والمثول أمامه على الفور، التزم سليمان بالكلمات اللطيفة في الخطاب. لتأليف خطاب رسمي جيد يجب أن يكون المرء قادرًا على تحييد عواطفه وتحيزاته من خلال وضع نفسه في محل المرسل إليه، وهذا يعني نقل رسالته بحزم ولكن بنبرة مناسبة. فإن احترام الذات جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية والتجاهل الصارخ لكرامة المرسل إليه قد يؤدي إلى ردّ فعل سلبي على قدم المساواة. في حين يُستوجب أخلاقياً الرد على الخطاب فيجوز للمرسل إليه تجاهل هذا المطلب ويرفض الرد إذا بدا الخطاب مهينًا ومحتقرا له. وبالتالي، لا بد من إنشاء رسالة بحيث يشعر المرسل إليه بالرضا عن نفسه. إن إظهار الأخلاق الحميدة في الخطاب لا يؤدي إلى الرغبة للرد فحسب، بل يؤثّر على الرد السريع والإيجابي. على الكاتب الماهر أن يجعل من خطابه غرضا ساميا كأن يوجّه نفس القارئ إلى أعمال النبل ومكارم الأخلاق التي يتصف به المحتفى به، ثم هو من حاجة إلى الأسلوب الرشيق والمعنى الدقيق والعرض الجذّاب والتصوير الخلاّب.

وهكذا بدأت بلقيس تتصرف بسرعة على رد سليمان جرّاء الاحترام الذي أوله لها. وعليه استشارت أعيانها وسلّطت الضوء على مضمون الخطاب وطلبت النصيحة قائلة: [... يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ] (سورة النمل: ٣١). وبينما أوصى أعيانها بخيار الحرب كان موقف بلقيس دبلوماسيا بالكامل كما فضّلت إرسال هدية كمقابل للاحترام الذي أظهره لها سليمان. ويكشف قرارها الودي عن كيفية التعامل مع الرسائل الرسمية وهو سلوك يرمز إليه القرآن كدليل على حكمة وبصيرة وحصافة بلقيس. إن القدرة على تحييد قناعات المرء وأحكامه المسبقة هي سمة مميزة للماهرين في الكتابة الذين يُبدون الحكم بشكل مُقنع وقادرون على إقناع حتى المتمردين. وبشكل عام يجب احترام المرسل إليه بينما يؤكد في الوقت نفسه على الرسالة

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.٢٠٠٤. جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ج ع، ص. ٤٥١
[٢] المرجع نفسه

التي يرغب المؤلف نقلها إلى المرسل إليه. قد يكون تحقيق هذا التوازن الدقيق أمرًا صعبًا لأنه يعني مواجهة جِهتيْن في الوقت نفسه: الجهة الخارجية (تجاه الشخص المراد الإرسال إليه) والداخلية (تجاه المؤلف نفسه وكلماته). في نهاية المطاف فإن مفاد احترام الآخرين بينما يقوم المؤلف في الوقت نفسه بصياغة كيفية نقل رسالته في ضوء مسؤوليته الاجتماعية أو الدينية.

الخاتمة والنتائج

بدأ المقال بذكر العوامل الرئيسية التي أدت إلى تأخّر تطوّر النثر وبالتالي الأدب القرآني. قدمت الجزئية الأولى كما هي العادة مراجعة لبعض الجدل الحاسم في تطوّر الشعر والنثر وسبب ظهور السابق أكثر شعبية بين الأدباء العرب. أما الجزئية الثانية فتناولت الرسالة كنوع أدبي كما ركّزتْ على خطاب سليمان ومن ثم قارنتُ سماته الرئيسة ذات العلاقة بالصياغة المعاصرة للرسائل الرسمية.

لقد استمرّ بعث الرسائل وسيلة للتواصل بين البشر لعدة قرون. لجأ أنبياء الله إلى هذه الوسائل في التواصل مع شعوبهم وخاصة الملوك والقادة الدينيين الذين يصعب الوصول إليهم وجهًا لوجه. طوال بعثتهم النبوية كان الرسل يسعون جاهدين للحصول على الأدوات والمواد اللازمة لتأليف الرسائل والتي كان لها تأثير عميق على أعمالهم التبشيرية. ولعل أشهر الرسائل هي تلك التي بعثها سليمان إلى بلقيس يدعوها ورعاياها إلى الاستسلام لهدف وحيد هو عبادة الله الواحد. ومع الأخذ بنصوص قرآنية نقطة الانطلاق استكشف المقال موضوع الصفة الرسمية في رسالة سليمان إلى بلقيس ومقارنة سماتها بالشكل المعاصر في تأليف الخطابات الرسمية. ظهرت ملامح رسالة سليمان إلى بلقيس تأثيرًا منتظما للاستمرارية على سمات الطريقة المعاصرة لإنشاء الرسائل الرسمية. فتأليف الخطاب الرسمي نشاط مستمر وموجود طالما كان الإنسان موجودا في الماضي والحاضر والمستقبل وسيستمر في التواصل بصفة رسمية. فالكتابة هي فن كان وسيظل جزءًا من المسعى البشري، وبالتالي يجب أن يكون له سمات راسخة.

References

Abdel Haleem, M.A.S. (1992). Grammatical Shift for Rhetorical Purposes: Iltifat and Related Features in the Qur'an. In, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, LV/3, pp. 407 – 431.

Abdul-Raof, Hussein. (2000). The Linguistic Architecture of the Qur'an. *Journal of Qur'anic Studies*, 2(2), pp. 37 – 51.

Abu-Zayd, Nasr. (2003). The Dilemma of the Literary Approach of the Qur'an. *Alif: Journal of Comparative Poetics*, 23, pp. 8 – 47.

Adamu, Mamman Musa. (2009). The Legend of Queen Sheba, the Solomonic Dynasty and Ethiopian History: An Analysis. *African Research Review*, 3(1), pp. 468-482.

Adonis, Sa'id. (1993). *Al-Naṣ al-Qur'āni wa al-Āfāq al-Kitāb*. Beirut: Dār al-Ādāb

Al-Juyūshi, MuhammadḤ Ibrāhīm. (1999). *Tārīkh Da'wah*. Cairo: Dār al-'Ilm wa al-Thaqāfah

Al-Khālidi, Ṣalāḥ. (1998). *Al-Qiṣaṣ al-Qurāniyyah: 'Arḍ wa Waqā'ī' wa Taḥlīl Aḥdāth*. Damascus: Dār al-Qalam.

Al-Ṣāliḥ, Ṣubḥi. (1977). *Mabāḥith fi 'Ulūm al-Qur'ān.* Beirut: Dār al-'Ilm li al-Malāyīn

Al-Samrah, Muhammad et al. (1985). *Al-Adab al-'Arabi: Min al-'Aṣr al-Jāhili ḥatta Nihāyah al-'Aṣr al-'Abbāsi*. Masqaṭ: Wizārah al-Tarbiyyah wa al-Ta'līm wa Shu'ūn al-Shabāb

Al-Ṭabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarīr. (2004). *Jāmi' al-Bayān fi Tafsir al-Qur'ān*. Beirut: Dar al-Ma'rifah li al-Ṭibā 'ah wa al-Nashr

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Muhammad bin 'Umar al-Khawarizm. (1972). *Al-Kashshāf 'an Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanjīl*. Cairo: Maṭba 'ah al-Bābiy al-Qanabi wa Awladuhu.

Azzam, Leila. (1990). *Lives of the Prophets*. Lahore: Suhail Academy Publishing Company.

Badawi, 'Abīr 'Abd al-Ṣādiq. (2014). *Ittijāhāt al-Adab al-'Arabi al-Ḥadīth*. Doha: Dār al-Nashr al-Duwali

Blake, Gary; Bly, Robert. (1993). *The Elements of Technical Writing*. New York: Macmillan Publishers.

Busby, M. (1992). *Daughters of Africa: An international anthology of words and writings by women of African descent from the ancient Egyptian to the present*. New York: Ballantine.

Camiciotti, Gabriella Del Lungo. (2014). Letters and Letter Writing in Early Modern Culture: An Introduction. *Journal of Early Modern Studies*, 3, pp. 17-35

Elias, Jamal. (2009). Prophecy, Power and Property: The Encounter of Solomon and the Queen of Sheba. *Journal of Qur'anic Studies*, 11(1), pp. 57 - 74

Goldfield, Yeshayahu. (1988). The Development of the Theory on Qur'anic Exegesis in Islamic Scholarship. *JSTOR: Studia Islamica*, 67, pp. 5 - 27

Guillen, Claudio. (1994). On the Edge of Literariness: The Writing of Letters. *Journal of Comparative Literature Studies*, 31(1), pp. 1 - 24

Haeri, Shahla. (2020). *Queen of Sheba and Her Mighty Throne*. Cambridge: Cambridge University Press.

Husain, Taha. (2007). *Fī al-Shi'r al-Jāhili: al-Kitāb wa al-Qaḍiyyah*. Cairo: Ru'yah li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Jacob, Lassner. (1993). *Demonizing the Queen of Sheba: Boundaries of Gender and Cultures in Postbiblical Judaism and Medieval Islam*. Chicago: Studies in the History of Judaism.

Jalāl al-Dīn, Al-Suyūtī. (2011). *The Perfect Guide to the Sciences Of The Qur'an*. Vol. 1, England: Garnet Publishing.

JCSP Literary Strategy. (2006). *Letter Writing*. Dublin: Curriculum Development Unit.

Jolly, Margretta; Stanley, Liz. (2005). Letters as/not a Genre. Life writing, *Routledge: Taylor and Francis Group*, 2(2), pp. 1 - 18

July, Robert. (1998). *A History of the African People*. USA: Wave Land Press.

Jum'ah, Muhammad Kāmil. (1963). *Al-Uslūb*. Cairo: Maktabah al-Qāhirah al-Ḥadīthah

Lawāsāni, Ahmad. (1988). *Naẓarāt Jadīdah fī Tārīkh al-Adab*. Beirut: Manshūrat Lawāsāni li al-Thaqāfah.

Modarressi, Hossein. (1993). Early Debates on the Integrity of the Qur'an: A Brief Survey. *JSTOR: Studia Islamica*, 77, pp. 5 – 39.

DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.3
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

Mohanty, Rajendra. (2015). History of Letter Writing and Bias of Communication. *International Journal of Multidisciplinary Approach and Studies*, 2(4), pp. 348 - 537

Osman, Rahmah. (2014). The Literary Facets of the Qur'an as a Guideline for Islamic Literary Writing. *Al-Shajarah Journal*, 19(2), pp. 215 - 250

Rippin, Andrew. (2001). *The Qur'an: Style and Contents, the Formation of the Classical Islamic World*. Aldershot: Ashgate/Variorum.

Roberts, Ivor. (2009). *Satow's Diplomatic Practice*. Oxford: Oxford University Press.

Strunk, William and White, E.B. (1999). *The Elements of Style*. Boston: Allyn & Bacon Publishing Company.

Tamrat, Taddesse. (1972). *Church and State in Ethiopia, 1270-1527*. London: Oxford University Press.

The Oxford Dictionary of Byzantium. 1986. Oxford: Oxford University Press.